مجلة العلوم الإنسانية
العدد الخامس (2015م)

موازنة بين كتاب الكسائي ما تلحن فيه العامة وكتاب الحريري درّة الغوّاص في أوهام الخواص

فاطمة عبدالله محمد إبراهيم و بابكر النور زين العابدين و إقبال سرالختم أحمد عبدالباقي
[1.2.3] جامعة السودان للعلوم و التكنولوجيا – كلية اللغات – قسم اللغة العربية

المستخلص:

تتناول هذه الورقة جانباً من جوانب الموازنة بين كتابي (الكسائي: مَا تلحن فيه العامة). و(الحريري: درة الغواص في أوهام الخواص).وقد نبغ العالمان في العلم ودقة التحقيق ولذا تناولا موضوعاً مهماً يرتبط بصحة اللغة وسلامة اللسان .ولما كان اللحن يلحق اللسان العربي لأسباب كثيرة منها الاختلاط بالأعاجم أو التساهل في أخذ اللغة ، حدب هذان العالمان وحرصا لوضع مؤلفين جمعا فيه ما تلحن فيه العامة والخاصة.كان جهداً مقدراً في هذا المجال. الورقة تلقي الضوء على هذا الموضوع من خلال كتابي العالمين الكسائي والحريري.تنهج الورقة منهجا وصفيا مستعينة بالمناهج الأخرى عند الضرورة ،وتهدف لدرء اللحن والحد من انتشاره

الكلمات المفتاحية:*اللحن، العوام، الخواص، الصواب.*

ABSTRACT:

This paper tacked apart of a comparison between the books of what mispronounced by the public by Alkissai and Diver in illusion of Elites by Alhurriri. The two scholars had agenius and accuracy for knowledge; therefore they had tacked an important topic that related to correct pronunciation in Arabic language. Mispronunciation ran in the tongue of original Arabs due to several reasons such as intermixture with non-Arab and back of accuracy I learning the language. Both scholars were very keen to compose two books including what mispronounced by the public and elites. That was a significant effort in this field. The paper will highlight this topic through the two books by the prominent scholars .The paper used a descriptive approach as well as other approaches, when necessary. This paper aims to avert mispronunciation and reduce its dissemination.

Key words:*speak ungrammatically ،Common ، ،distinctive peoplecorrect ness .*

المقدمة:

كان العرب في الجاهلية يتكلمون بالعربية سليمة خالية من اللحن مستقيمة الأساليب بعيدة عن الخطأ ، ينطقون بذلك سليقة وجاء الإسلام ودخل الناس في هذا الدين من جميع الأجناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ؛ فاختلط اللسان العربي الفصيح بألسنة هؤلاء القوم ، مما أدى إلى ضعف اللغة العربية وانتشار اللحن.

وحفاظاً على سلامة اللغة العربية من اللحن ، حدّد العلماء فترة الاستشهاد اللغوي بنهاية حكم دولة بني أُمية ، كما نبهوا للخطر الذي يحيط باللغة ، حفاظاً على هذا الكتاب الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين ، كما حثوا على الاستعمال الفصيح والأسلوب الصحيح المستقيم للغة العربية الذييحافظ على سلامتها من اللحن.

ومن هنا ظهرت محاولة ، تمثلتفي تأليف كتب للاستعمال الصحيح للغة ، من هؤلاء العلماء الذين ألفوا في هذا المجال ؛ أبو محمد القاسم بن علي الحريري في كتابه(دُرَّة الغواص في أوهام الخَواص) والكسائي في كتابه (مَا تلحن فيه العَامَّة).

تهدف الورقة إلى أن تقف على كتب هؤلاء العالمين ، ومحاولة البحث والتنقيب عن منهجهم العلمي الذي أتبعوه في معالجة داء اللحن ، للوصول إلى طريقة يُعالج بها.

وأهمية هذه الورقة هي:المحافظة على سلامة اللغة من اللحن والخطأ ، لما لهذه اللغة الكريمة من ارتباط وثيق بكتاب الله الكريم ، حيث إن اللحن من العوائق التي تعترض بقاء العربية سليمة من الخطأ.

المنهج الذي اعتمدته الورقة هو المنهج الوصفي التحليلي مستعينة بالمناهج الأخرى عند الضرورة.

واشتملت الورقة على اربعة مباحث :

المبحث الأول: اللحن ومعناه

المبحث الثاني : الكسائي وكتابه .

المبحث الثالث:الحريري وكتابه.

المبحث الرابع:الموازنة بين الكتابين.

وخلصت الورقة بنتائج منها:

1. لم يشّر أصحابُ الكتب التي ألفت لمقاومة اللحن إلى أسبابـوقوعه ولا لطريقة معالجته ، واكتفوا بذكر الصَّواب وايراد الشواهد لهُ .
2. كتاب الحريري أكثُر اشتمالاً على القصص الأدبية من كتاب الكسائّي.
3. كتاب الكسائي أسهل تناولاً من كتاب الحريري.
4. لم نقف على نصوص من الحديث النبوي الشريف في كتاب الكسائي.
5. نجد أن الكتاب الذي أخذت منه مادة درة الغواص يندر أن يضبط الكلمات التي قد يوهم ظاهرها خلاف المقصود وهذا أمّر يحتاج إلى بحث و مقارنة نصوص الكتاب من عِدة نسخُ.

المبحث الأول :اللحن ومعناه:

أولا: اللحن لغة:

ورد في لسان العرب، لابن منظور.أن اللحن هو الأصوات المصُوغة والموضُوعة ، وجمعهُ ألحانَ ولُحُونَ ، واللَحْنّ والّلحانية : تُركُ الصَّواب في القراءة والنشيد ونحو ذلك ، لَحنِ ، يلحنُ ، لحناً ولُحُوناً . ابن منظور ، (1423هـ – 2003م) ، ج1ص63 –64 (باب اللام – مادة لحن)

قال ابن بري:(للحن ست معان: الخطأ في الإعراب واللغة ، والغناء ، والفطنة ، والتعريض ، والمعنى)

وقال الخوارزمي: (اللحن: إسقاط الإعراب . والفهم ، والفطنة ، ومعنى القول ، والإيماء . واللغة وترجيع الصوت) .لذلك نستطيع أن نقول معاني كلمة (اللحن) ستة هي: اللغة ، أو اللهجة. الخطأ في الإعراب ، أو إسقاط الإعراب .الغناء أو ترجيع الصوت.الفطنة والفهم.التعريض ، أو الإيماء ،أوالتورية .معنى القول فحواه ومذهبه ، أو المعنى.(ياقوت ، فن الكتابة الصحيحة ،ص12 ،واللسان (مادة لحن).

أولاً : اللغة واللهجة:

ورد ا للحن بمعنى اللغة في حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه :قال [تعلّموا الفرائضَ والسَّنة واللحن) ، أي اللغة . فيجوز أن يكون اللحن . الصَّواب . ويجوز أن يكون خطأ . يُعرَفْ فيجتنب.

. بنين الدقيقي النحوي ، (1405 هـ – 1985 م). ص135.

قال الزمخشري:(تعلَّموا الغريب واللحن ، لأن في ذلك علّم غريب القرآن ومعانيه – ومعاني الحديث والسَّنة ، ومنْ لم يعرفه لم يعرف أكثر كتاب الله ومعانيه ،ولم يعرف أكثر السَّنن).

(بن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، 1963. واللسان مادة (ل ح ن).

وورد عن عمر رضي الله عنه ، أيضاً قوله :تعلَّموا اللحن في القرآن كما تعلَّمونه ، أي تتعلَّمونه). والمعنى تعلموا لغة العرب فيه الذين نزل القرآن بلغتهم .

وهناك قول آخر لعمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يدل دلالة واضحة علي أن المقصود باللحن اللغةَ ، قال :[أبيٌّ أقرءؤنا).

مطر،(1386 –1961) ، ص27.

قالوا :(وإنا لنرغبُ عن كثير من لحنه) ؛ أي من لغته ؛ والمراد اللهجة ، لأن أُبي بن كعب ، رضي الله عنه ، كان يقرأ آي الذكر الحكيم بأحرف مختلفة).(د. ياقوت ، ص13) .

وورد أيضاً اللحن بمعنى اللغة ، عند أبو ميسرة الهمداني ، وذلك في تفسير قوله تعالي : [فَأَرسَلنا عَلَيهِم سَيلَ العَرِمِ) ،سورة سبأ ،الآية16 قال أبو ميسرة : (العرِم السُنَّاة بلحن اليمن ، أي بلغة اليمن).

(مطر ، لحن العامة ، ص27)

لم يكن مصطلح اللهجة معروفاً عند القدماء بالمفهوم الذي نستخدمهُ الآن . وهو أن اللهجة جزء من اللغة التي قد تتفرع إلى عدة لهجات .وإنما كانوا يستعملون كلمة اللغة للدلالة على لهجات القبائل المختلفة ،فيقولون : لغة قريش ولغة تميم ولغة اليمن. أما مصطلح اللهجة نفسهُ ، سُمي لهجة لأن القبيلة توجه اللفظ إلى جهة معينة تعرف بها. ومعنى هذه الدلالة هو : الميل ، فاختلاف ، اللهجة عن اللغة المشتركة يعد ميلاً عنها بوجه عام. (مطر ،لحن العامة ، ص12).

فمعناه عند القدماء اللسان ، والدليل على ذلك قول ابن فارس:(اللهجة من قولهم : هو فصيح اللهجة وهو اللسان). ولهجة الإنسان لغته التي جُبل عليها فاعتادها ونشأ عليها ؛ وحين يفسرها القدماء باللسان فهم يقصدون الحديث والكلام). (ياقوت ص13)

وورد اللحن بمعنى اللغة ، أي اللهجة على لسان أبي المهدية من الأعراب في تعليقه على أحد الاستعمالات النحوية ، وذلك: (ليس هذا من لحني ولا لَحْن قومي ، أي ليس هذا من لهجتي ، ولا لهجة قومي).

(السيوطي ،المزهر،(1407هـ) ، .ص73)

وقول أبي مهدي هذه العبارة ردّاً على اليزيدي ، حين قال له : (ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله). (برفع طاعة مع أن أبا مهدي حجازي ينصب خبر ليس بعد إلا).(د.ياقوت ص14)

ومن شواهد هذه الدلالة قول الأعرابية الكلبية:

وَقومٍ لهم لَحْنٌ سوى لَحْنِ قومنا *** وشكلُ ، وبيتِ اللهِ لسَّنا شُنا كِلهُ

(السابق ص14)

وقد استشهد أبو بكر الأنباري وأبو علي القالي على أن اللحن لهجة لأن القبيلة توجه اللفظ إلى جهة معينة تعرف بها .

يقول علي بن ميسرة ا لجرمي:

ومـــا هاَج هذا الشَوقَ إلا حمامةً *** تبكت على خضراء سُمرٍ قُيودُها

هَتوف الضُحا معروفة اللحنِ لم تزل *** تقودُ الهوى من سُمرٍ ويقودها

واللحن بمعنى اللغة ، ومنه الحديث : [واقرءوا القرآن واللحن بلحون العرب) أي بلغاتهم.

(البرهاني ،(1931م) ، ج1 ، حديث رقم3779).

ثانياً : الخطأ في الإعراب :

وهو إمالة الشيء عن جهته الصحيحة في العربية .

يقال: لَحْن في كلامِه ، أي أخطاء في الإعراب . وخالف وجه الصَّواب في النحو . وقد أورد الزمخشري لفظ (مال) في تفسيره للحن بهذا المعنى . قال في الأساس (لحن): و(ألحن) : في كلامه. إذا مال به عن الإعراب إلى الخطأأبو عبد الله، (2003م) ، ص266.

ومن شواهد هذا المعنى قول الحكم بن عبدل الأسدي أحد شعراء الدولة الأموية فقد قال في هجاء حاجب بن عبد الملك بن بشر بن مروان والي البصرة (102-- 103) ، محمد بن عمير كاتب عبد الملك بن مروان ليحمل الأمير على إقالته وهو:

لْيَتَ الأمَرِ أطاعني فشفيتهُ *** مِن كلّ مَنْ يـ ُكفي القصيد ويلْحنُ

ومعنى يكفي القصيد :يغير حرف الّروي إلى ما يقاربه كراء إلى لام ، أو لام إلى ميم (اختلاف في القوافي) ، وفسر القراء الأكفاء بأنه المخالفة بين حركة الروي . فظهر مثل الإقواء (والصحاح كفوا) ، وفن الكتابة.

(محمود ، ص14).

ومن شواهد اللحن بمعنى الخطأ قول مالك في وصف جارية له:

منطَقٌ صِائبٌ وتَلْحنُ أحيا ًنا ً ** وخير الحديثَ ما كان لْحنا

(الطويل ، (1418هـ – 1998م)ج2 ص177.)

فقد فسر الجاحظ اللحنهنا بالخطأ ، وقال: (واللحن من الجواري الُظّراف ، ومن الكواعب النواهد ، ومن الثواب الِملاح ، ومن ذوات الخدور والغرائر ، أبسر).

وربما استملح الرجل منهن ما لم تكن الجارية صاحبة تكلف – – – وقد قال مالك بن أسماء في استملاح اللحن من بعض نسائه:

وحدِيثٌ ألذّ هو مِمَّايَنعتُ ** الناعِتُّون بُوزُن وزَنا

(ابن قتيبة ، المقدمة ، 5، 202 ، وابن دريد ،الملاحن ، ص3)

وخالفُهُ ابن قتيبة حيث قال:(اللحن في هذا البيت الخطأ واستظرافه):

قال أبوبكر بن دريد: فقد روى عنه أبو علي القالي قوله:(تعهُّدوا في حديثها فتزيله من جهته ، ليئلا يفهمه الحاقدون ، وخير الحديث ما كان لحناً، أي ما فهمه صاحبك الذي تحب إفهامه . كما قال الله – عزّ وجلّ- ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ . سورة محمد : الآية 30.

وقد روى أبو عبيد البكري ، – ما قاله الحجاج لهند بنت أسماء من أن المرأة الفطنة ، فهي تلحن بالكلام إلى غير المعنى الظاهر لتروي عنه ، وتفهمه ، من أرادت بالتعريف ، وأيدَّ حمزة بن حسن الأصفهاني قول بن دريد إنها تتكلم بالشيء وهي تريد غيره من فطنتها وذكائها ، ويقول أبوبكر الأنباري : عندنا من محال ، لأن العرب لم تزل تستقبح من الرجال ، ويستملحون البارع من راوية الشعر من كلام النساء ، كما يستملحونه من الرجال ، والدليل على هذا قول ذي الرمة يصف امرأة تلحن في الكلام:

لها بشرٌ مثلُ الحرير ومنطقٌ *** رخيم الحواشي لاهراءٌ ولانزرُ

الهراء : الهذيان ، ولا نزر: القليل الدال على معنى الكلام .

(مطر ، ص24) . (ل بنين الدقيقي . ص128)

فوصفها بنعومة الجلد وسلاسته،وبأنها ذات كلام عذب،وحديث رقيق ، وأنها لا تكثر في كلامها حتى يملها سامعها ، ولا تقتضيهاقتضايا حتى يحتاج سامعها في تفهم المعنى إلى زيادة . وهذا مما يستملح من صفات النساء.واللحن لا يكون عند العرب حسناً إذا كان بتأويل الخطأ ، لأنه يقلب المعنى . ويفسد التأويل الذي يقصد له المتكلم. (ابن دريد ، ص70)

قال ابن جني:(منطق صائب ، أي تارةورد القول ، صائباً مسدداً وأخرى تنحرف فيه وتلحن أي تعدله : عن الجهة الواضحة متعمدة لذلك تلعباً للقوليعني إنها تتكلم بالشيء ، وهي تريد غيره من فطنتها ، مؤيد رأي ابن دريد.(ابن دريد ، ص70)

دافع أبو حيان التوحيدي:عن تفسير الجاحظ وحمل اللحن في بيت مالك بن أسماء على الخطأ في الكلام ، وإن جاز تفسيره أيضاً بالرمز والإشارة .

ونحن من المحدثين نقف إلى جانب الجاحظ وابن قتيبة في تفسيره،: (ولكن نقاد الجاحظ وابن قتيبة لم يستسيغوا تفسيرهما:وذهبوا إلى تفاسير أخرى،لا تخلو من التكلف والتعسف، مثل أن يقال:(إن الكلمة من أسماء الأضداد وهي في البيت بمعنى الصواب، وفسرها بعضهم بمعنى الرمز والإشارة والغناء ، فالشاعر يعجب بجارتيه ، ويلذ له كلّ شي فيها، حتى حين تلحن ، وتنحرف عن الصواب ، ولا يصح من أجل هذا أن ينظر إلى البيت نظرة المنطق والعقل).

ثالثاً: الغناء وترجيع الصوت والتطريب:

اللحن هو التطريب ، وترجيع الصوت ، والشعر، والغناء ، وتحسين القراءة .ولحن الأغنية .وضع لها صوتاً موسيقياً مناسباً تغنى به ، ولَحْن في قراءته طرّب فيها وغرَّد بألحان، والمعنى العام في هذه الدلالة ، إذ هي (إزالة الكلام عن جهته الصحيحة بالزيادة والنقصان في الترنم). ابن دريد،الملاحن ، ص67.

ومن شواهد هذا المعنى قول يزيد بن النعمان:

لقد تركَتْ فـؤادكَ مُستجنـاً *** مطوقةً على فنٍ تغنى
يميلُ بـها وتركبُه بلحنٍ *** إذا ما عنَّ للمحزُون أنَّا
فـلا يحـزُنك أيّامٌ تولى *** تـذكـرها ولا طـيرٌ أرنـا

(ابن منظور، (مادة لحن)،ج3ص275)

يتحدث الشاعر عن هديل الحمام وغنائه. يقول:أنه يريد السجع بصوتها العذب الرنان سَجعة حتى ما سمعها المحزون تحرك فؤاده طرباً لذلك. والمطوقة من الحمام ما كان له طوق في عنقه ، أي دائرة من الريش تخالف سائر لونه ، وأنا الرجل بين أنا وأنينا إذا صوت من الوجع والآلم وأرنا.

ومن شواهد هذا المعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: [اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولَحون أهل العشق). (علا الدين ، كنز العمال،حديث رقم 2779)

ويقول ابن الأثير معلقاً على الحديث الشريف . ويشبه أن يكون أراد هنا : الذي يقول قرار الزمان من اللحون ألتي يقرءون بها النظائر في المحافل أيام اليهود والنصارى يقرءون كتبهم نحواً من ذلك.

(ابن الأثير في غريب الحديث والأثر ، 5، 242)

وورد في بعض الأمثال قولُهم: (ألحنُ من قينيتي يزيد)(الميداني) ، والقينتا ، هما حبابة وسلامة ، مغنيتا يزيد بن عبد الملكويقول حمزة الأصفهاني:(وأما قولُهم: ألحن من قينتئ يزيد ، فإنهم يعنون لحن الغناء ، والمثل من أمثال أهل الشام . ويزيد هو يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وقينتاه حبابة وسلامة ، وكانتا ألحن من روى أن دولة الإسلام من قينان السماء).

رابعاً : الفطنة والفهْم:

سمي اللحن فطنة ، لأنه يميله إلى الأعلى ،فطن لشيء فلم يفطن له غيره – يقال عنه لحنت لحناُ ، إذا فهمته وفطنته ، فلحن هو عنَّى لحناً ، أي : فهم وفطن ومن شواهد هذا المعنى قول الرسولصلى الله عليه وسلم وهو يحث المؤمنين على الصدق والحق إذا تعارضوا إليه:[إنما أنا بشر مثلكم وإنكم تختصمون إلّي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فمن قضيت له بشي من حق أخيه فإنما أقطع ُ له قطعة من النار)

(صحيح مسلم ، حديث رقم 1337).

أي أفطن لها وأحسن تصرفاً عن غيره .أراد : أن بعضكم يكون أعرف بالحجة وأفطن لها وأجدل من غيره

ومن شواهده أيضاً قول لبيد يصف غلاماً كاتباً :

متعوذَ لَحَنٍ يميدُ بكفِّه *** قلماً على عَسبٍ دَبلّن وبلَن

(كامل جميل ، ص17، بن منظور مادة لحن)

متعوذُ تعوذ به،أي لجأ إليه ،ويقال:تعَّوذ بالله ، والعسيب: جريدة النخل المستقيمة ، والجمع عسب ،وهو ضرب من الشجر.ويشبه به الحسان في الطولُ البانة واحدته بانه . (الدقيقي ، ص136).

خامساً : التعريض، أو الإيماء، أو التورية

التعريض خلاف التصريح من القول، يقال عرفت ذلك في معرض كلامه بحذف الألف. والتعريض كالتورية. والكناية في أن كلامها يراد به غير مقتضى الظاهر من الكلام ،روى عنه عليه الصلاة والسلام (أن في المعاريض لمندوحة عن الكذب ، وروى عن عمر رضي الله عنه: أما في المعاريض ما يغني المسلم عن الكذب ، وروى عن إبن عباس رضي الله عنه: (ما أحب بمعاريض الكلام حمر النعم) .وسمى التعريض تعريضاً لأن المعنى فيه يفهم من عرض الكلام أي من جانبه.(ابن دريد، ص67)

فالتورية أو الرمز ميلٌ عن التعبير الواضح الصريح ، ويقال منه:(لحنت لفلان لَحْناً إذ قلت له قولاً يفهمه عنك ويخفى على غيره يُميله بالتورية عن الواضح المفهوم).إميل يعقوب ،(1989).

ومن شواهد هذا المعنى قول القتال الكلابي:

ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا *** ووحيت وَحْياً ليس بالمرتابِ .

القتّال الكلابى : القتال غلب عليه؛لتمرده وفتكه ، واسمه عبد الله بن عامر بن حصن ، يكنى أبا(الشينب)

شاهده قوله : (لحنتُ لكم) أي : بينت لكم .(البغدادي ،(2002م) .

وبهذا المعنى فسر قول مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري في جارية له:

منطقٌ صائبٌ وتلحن أحياناً *** وخير الحديثِ ما كان لحناً

وقد فسر اللحن في البيت بهذا المعنى.

ابن رشيق حيث قال: (ومن الإشارات للحن،وهو كلام يعرفه المخاطب بفحواه إن كان على غير وجهة)

(الشهاب الخفاجي ،ص 396).

وإلى هذا ذهب الحُذّاق في قول الشاعر:

منطقٌ صائب وتلحن أحياناً****وخير الحديث ماكان لحنا

الزمخشري ، حيث قال في الأساس (لحن) :(... ولحنت له لحناً قلت له ما يفهمه عني ، ويخفى على غيره) وعرفت ذلك في لحن كلامه : في فحواه وفيما صرفه إليه من غير إفصاح به ، قال (منطقٌ واضح).(ابن رشيق ،العمدة ، ص1- 21).

ومن شواهد اللحن بمعنى التورية قوله تعالى(وَلَتَعْرِفَنَّهُم فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُم)سورة محمد : الآية : 30.

ومن شواهد هذا المعنى أيضاً : ما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم – (أنه في غزوة الخندق أرسل سعد بن معاذ وسعد بن ميادة وعبد الله بن رواحه ، إلى بني قريظة ليتبينوا هل يريد بنو قريظة أن ينكثوا عهدهم مع ،الرسول صلى الله عليه وسلم وقال لهم: فإن كان حقاً (ألحنوا لي لحناً أعرفه) . صفي الرحمن ، 2003 م ، ص 263). فلما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم ذكروا لفظي (عضّل – والقارة) وهما قبيلتان غدرتا بأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم – من- قبل – فعلم الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك أن بني قريظة نكثوا عهدهم .(مطر ،لحن العامة ، ص23).

سادساً : معنى القول وفحواه :

ورد لفظ اللحن في القرآن الكريم للدلالة على فحوى القول ومعناه ، وقال تعالى في شأن المنافقين الذين في قلوبهم مرض(وَلَتَعْرِفَنَّهُم فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُم).أي فحواه ومعناه ومذهبه.

قال المفسرون عن (لحْن القول):فحواه ومقصده ومغزاه ، وهو هنا ما يعّرضون به من تهجين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم قيل: كان بعد هذا لا يتكلم منافق عند رسول صلى الله عليه وسلم إلا عرفه ، لأن الله تعالى أقسم بأن يعرفهم للرسول صلى الله عليه وسلم (من أسلوب قولهم) .(محمد عيد ، ص12).

ثانياً: اللحن اصطلاحاً:

وضح ابن الجوزيهو (الإمام أبو الفرج عبد الرحمن أبن على الجوزي ، عربي ، قرشي ،يتصل نسبه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، إمام في الحديث / والوعظ ، توفي سنة 597هـ ،ابن خلكان، وفيات الأعيان ، . 3|140. وكامل جميل ، طريق النحو ، ص17) ، غلط العوام بقوله:(وأعلم أن غلط العامة يتنوع ،فتارة يضمون المكسور ، وتارة يكسرون المضموم ، وتارة يمدون المقصور ، وتارة يقصرون الممدود ، وتارة يزيدون في الكلمة ، وتارة ينقصون منها ،وتارة يضعونها في غير موضعها ، إلى غير ذلك من الأقسام). (محمد عيد ، المظاهر الطارئة – ص10)

وأيضاً عرفه محمد عيد بقوله : (وهو خروج الكلام الفصيح عن مجرى الصحة في بنية الكلام أو تركيبه أو إعرابه بفعل الاستعمال الذي يشيع أولاً بين العامة من الناس ويتسرب بعد ذلك إلى لغة الخاصة) .(المصدر السابق ، نفس الصفحة).

وعرفه ياقوت الحموي بقو له :(واللحن من لغة الإعراب ، واللّحْنُ علىً جهة أخرى أن يكلم الرجلُ صاحبه بالكلام ، يعرفانه بينهما ولا يعرفه سواهما)(الحموي ، معجم الأدباء ، 1 | 51).

أشارت هذه التعريفات إلى أن اللحن هو تغيٌر في بنية الكلمة ، وفي إعرابها أوفي تركيب الجملة . نشأ عن العامة ثم تسرب إلى الخاصة.

ونلاحظ أن اللحن بهذه الأقسام له دور في تغير المعنى، وكذلك في البنية ،ووزن الكلمة ، ومن حيث النقط ، فهو ينشأ عند العامة ثم يتسرب إلى الخاصة.

المبحث الثاني : الحريري وكتابه دُرَّة الغواص في أوهام الخَواص:

أولاً :الحريري:

هو أبو محمد ، القاسم بن علي بن محمد الحريري (الحريري ، ، 446هـ-516) و(الأنباري ، 1985م ، ص278).

وقيل إنه : أبو محمد القاسم بن علي بن عثمان البصري الحرامي(ابن خلكان ، 4|64) ؛ وقيل القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري أبو محمد (القفطي ، 1955م 3،63).

أما نسب البصري فجاَءهُ من أنه ولد وشب في البصرة ، كما أنه درس العلم وتلقاه بها (الشهاب الخفاجي ،(1417هـ-1996م)،ص12)..ونسب الحريري نسبة إلى الحرير عمله أو بيعه أشتهر بذلك أجداده (ابن خلكان ، 4،66.) (الخفاجي ، ص12) .

ولد الحريري في حدود سنة ست وأربعين وأربعمائة في خلافة المسترشد بالله الخليفة العباسي. فقد توفي الحريري سنة عشرة وخمسمائة.(المصدر السابق ،4،597)

نشأته:قرأ الحريري الأدب على أبي القاسم الفضل بن محمد القصياني البصري ، يقول الحريري في دريته : أنشدنا شيخنا أبو القاسم القصياني النحوي لنفسه:

في الناس من لا يرتجى نفعه *** إلاّ إذا مُس بأضرار
كالعود لا يطمع في ريحه *** إلاّ إذا أُحرق بالنار (الحموي ، ، 2/597)

نبغ الحريري في العلم على مختلف فنونه ، وبرع في اللغة براعة فائقة ، يشهد لذلك مقاماته التي أُشتهر بها ، وأظهرت براعتهُ اللغوية والنقدية ، ولبراعته في اللغة ونقدها ألف كتاب (درة الغواص في أوهام الخواص)وهو كتاب تظهر فيه الملكة النقدية والحاسة اللغوية ، التي تفحص اللحن وتنبه إلى الخطأ . دلت على ما بلغه الحريري من منزلة أدبية علمية فالإنسان بأثره ، وسيظل حياً ما دام الأثر حياً . (الشهاب الخفاجي ، ص13)

ومن مشهور شعره:

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى *** عن الرشد أنحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل إني أخو العمى *** ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

شيوخه:

تلقى الحريري العلم بالمساجد والمجالس العلمية على أيدي الشيوخ والعلماء فسمع من أبي تمام محمد بن الحسن بن موسى المقرئ ، وقرأ النحو على أبي الحسن المجاشعي شيخ الحرمين ، وتفقه على الشيخ إسحاق الشيرازي ، وقرأ الفرائض والحساب على أبي الفضل الهمداني، وأخذ الأدب على أبي القاسم القصياني. وقرأ العربية على أبي الحسن ابن الفضل المجاشعيشيخ إمام الحرمين.(عمر كحالة ، ،1414هـ – 1993م، ص(654/2)

أثنى العلماء عليه ، وقال عنه ياقوت الحموي : [كان غاية في الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة ، وله تصانيف تشهد بذلك ، وخير شاهد المقامات .(الحموي, 579/4)وقال عنه الأنباري : كان أديباً فاضلاً بارعاً فصيحاً بليغاً ، صنف كتب حسنة عذبة العبارة.(الشهاب الخفاجي ، ص149)

اتفقت جميع المصادر في سنة وفاته ، فقد ذكرت أنه مات سنة عشرة وخمسمائة ببني حرام ، وكان له سبعون سنة(ابن خلكان, وفيات الأعيان ، 4|61)

آثاره العلمية:

ترك الحريري مع آثاره العلمية ولدين توليا مناصب فوصل أحدهما منصبقاضي القضاة بالبصرة ، وهو ضياء الإسلام عبيد الله والآخر هو أبوالقاسم عبدالله الملقب بنجم الدين ، وقد ورثا عن أبيهما علمه وأدبه ، حتى كانا يميزان من يريانه بأنه كفؤ للتحدث بكتب أبيهما ،قال أبو منصور الجواليقي أجازني بالمقامات نجم الدين عبدالله وضياء الإسلام عبيدالله عن أبيهما رحمه الله. (الأنباري، ص278–279) .و(ياقوت الحموي، 59/4)

ثانياً :كتاب الحريري:

كتاب دُرَّة الغواص في أوهام الخَواص،لأبي محمد بن علي الحريري .وهو كما يدل عنوانه (الحريري ، درة الغواص ،ص11) .في لحن الخاصة من الكتاب والشعراء ، الذين كانوا قدوة يوثق بهم ،ويرجع إليهم في تصويب صور اللحن ورد أشكال الانحراف عن اللغة الفصيحةالسليمة ،يسمى بالدرة تشبيهاً لها بتلك القطعة الثمينة ، فكأن هذا الكتاب درة الخاصة الذين يعرفون اللغة .وسمي هذا الكتاب (درة الغواص).

والدرة(اللسان: مادة (درر))معروفة والغواص مبالغة في الغائص،وقيل الغواص من أتخذ ذلك حرفة له .

قال الجمحي(الجمحي هو أبو وهب بن زمعة كان جميلاً شاعراً عفيفاً ،مدح معاوية وعبد الله بن الزبير) وهنا يصف امرأة :

زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت عن لؤلؤ مكنون (في الكامل للمبرد ،إن هذا البيت لأبي دهبل الجمحي ،وقال أكثر الناس يرويه لحسان بن ثابت .)

وأنشأ الحريري كتابه ليبين فيه أخطأ الخواص فيما يستعملون من الألفاظ يغير معناها في غير موضعه .

وصفه محمد أبو الفضل إبراهيم ،بأنه من أحسن الكتب تأليفاُ، وأجملها تصنيفاً وأعظمهاقدراً ،فحشي كتابه بالحكايات الأدبية والنوادر المستملحة ، والطرائف الجميلة ،والأشعار الرائقة ،فجعله ممتعاً في الأدب ، فهو صاحب ملحة الأعراب في صناعة الإعراب .مماجعل هذا الكتاب فريداً في الأدب. (الحريري ، درة الغواص.ص2) .إضافة إلى ماأشتمل عليه من أبحاث في اللغة والنحو وعلم الرسم .

أماعن منهج ومحتوى كتاب الحريري ، فقد حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ،وطُبع في مطبعة دار الفكر العربي ، بالقاهرة ، سنة 1997 م.وفي مقدمة تحقيق الكتاب وصفهالمحقق بأنه من أحسن الكتب تأليفاً وأجملها تصنيفاً وأعظمها قدراً ،ودرة الغواص من كتب اللحن التي حازت الاهتمام منناللغويين والباحثين.وضع ابن بري وابن ظفر حواشي على الدرة عنوانها :(حواشي شريفة وتحقيقات لطيفة على كتاب درة الغواص في أوهام الخواص.(عبد العزيز مطر، ،1386هـ-1961م، ص96)(.والشهاب الخفاجي ، ص8-9).

كما وضع الجواليقي كتاباً أسماه [التكملة والذيل على درة الغواص]. كتب عليها محمد إبراهيم الحنبلي كتاباً أسماه :(سهم الألفاظ في وهم الألفاظ).(الحريري ، ص5)

وشرحها ورتبها من المحدثين محمود شهاب الألوسي ، وسمى كتابه [كشف الطرة عن الغرة]. ورتبها من القدماء ابن منظور (محمد بن المكّرم صاحب لسان العرب] على حروف المعجم(السابق نفس الصفحة). وأشهر تلك الشروح ، شرح الخفاجي. وطُبع هذا الشرح مع الدرة في طبعتي مصر والقسطنطينية، وكثرة الشروح تدل على مدى أهميته.(السابق نفس الصفحة)

لم يوضح الحريري الخاصة الذين قصدهم في كتابه بل اكتفى بالإشارة إليهم بقوله : (أني رأيت كثيراً ممن تسنموا أسنمة الرتب ، قد ضاهوا العامة في بعض ما يفرط من كلامهم)(السابق نفس الصفحة)، كما أشار إلى غرض التأليف بقوله:(أن أدرا عنهم الشبه ، وأبين ما التبس عليهم واشتبه)(السابق نفس الصفحة.) .أما عن منهجه في كتابه ، وهو يبدأ دائماً بالاستعمال الخاطي بعبارة [يقولون] ثم يأتي بالاستعمال الصَّواب ، ويقدم الأدلة على صحة رأيه من الشعر والقرآن والأحاديث والأخبار والنوادر ، وكلها تدور في الوهم والخطأ ، والغلط واللحن ، مثل (من أوهامهم الفاضحة وأخطائهم الواضحة، فيوهمون فيه ، وغلط شائن ، وهو أقبح أوهامهم وأفحش لحن في كلامهم) وأكثرها وروداً قوله: (يقولون كذا والصَّواب كذا).(السابق نفس الصفحة.ooooo)

أكثر استشهاد الحريري كان بالشواهد الشعرية،وبلغت [113] بيتاً ، كما استشهد بالقرآن الكريم،وبلغت الآيات [96] آية من[103] سورة.أماالأحاديث فبلغت[34حديثاً].

كما ذكر الحريري في كتابه بعض اللهجات العربية عند حديثه عن الزيادة في اللغة منها:

الطمطمانية:(حمير)وهي إبدال لام التعريف ميماً أو نوناً كقولهم :(طاب امهواءأى الهواء)،(مم بكر :من بكر)،وما روي عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ليس من أمبر امصيام في ام سفر)،ومعناه (ليس من البر الصيام في السفر)؛ (جعل آلة التعريف ام)،والعنعنة :(تميم)لفظ الهمزة إذا وقعت في أول الكلمة عيناً فيقال في(آمان)،(عمان)وفي (أسلم)،(عسلم) وفي (آلة)،(عال)،(إبدال

حرف الهمزة عيناً).وتلتلة بهراء وهي كسر حرف المضارعة والكشكشة:(ربيعة)إبدال كاف الخطاب إلى شين مثل:(عليك :عليش ، منك ،مش ،بك ، بيش) أو إضافة الشيء بعد ضمير الخطاب المفرد مثل:(عليكشوبكش بدلاً عليك وبك).(إبدال الكاف شيناً).(فهد خليل زايد، ص35–36)

أشار الحريري في مقدمة كتابه ، إلى أنه حشي بالحكايات والقصص الأدبية ، والنوادر واللغة والأدب والنقدحيث يقول : (أودعه من نلخب كل لُباب ، ومن النكت مالا يوجد منتظماً في كتاب هذا إلى ما لمعتهُ به من النوادر الا ئقة بموضعها). (الحريري ،درة الغواص،ص90)

لم يكن للحريري منهج في ترتيب درة الغواص بل ساق مواده بدون ترتيب وأورد جميع مواده مرقمة .من الرقم (1–213)،كما لم يميز بين أنواع الأخطاء(في بنية الكلمة) مثل:فتح المضموم أو فتح المفتوح أو كسر المفتوح أو فتح المكسور أو خلاف ذلك .

والتغير الصوتي كإبدال صوت الصاد سيناً ، وأخطأ الاستخدام اللغوي ، واستعمال الكلمات على غير ما وضعت له كالتفريق بين نعم وبلى .

المبحث الثاني: الكسائّيوكتابه َما تلحن فيه العَامَّة:

اسمه ومولده :

هو علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز،البغدادي، أحمد بن علي ،1932م، ص404،11) وقيل:علي بن حمزة بن عبدالله بن عثمان (ياقوت الحموي، معجم الأدباء.167،13)وقيل علي بن حمزة بن عبدالله بن قيس)بن فيروز (العسقلاني،، 1325هـ، 312/7)وكنيته .أبو الحسن ،(البغدادي، تاريخ بغداد ،404/11). ولقبه الكسائي، (الذهبي ، ، 1404هـ، 1 /121 ، البغدادي ،تاريخ بغداد ،404/11) .وسبب تلقيبه بذلك فيه أقوال : قيل يقال لأنه أحرم في كساء،ابن الجزري ، عز الدين بن الأثير، ،1، 535) وهذا ما جنح إليه الشاطبي(البغدادي، ،11/)404 ،(،لابن الجزري ،539/1).في حرز الأماني ووجه التهاني حيث قال:

وأَما عَلِيَّ فالكِسائّيَ نعتهُ *** لِّما كَانَ في الإِحرام مِنْهُ تَسربلا (الأمام الشاطبي ، [1410–1990 م].)

وقيل : لأنه من قرية ياكسايا، قال ابن الجزري:وهو اضعفهاابن الجزري ،529/1))

نشأته العلمية:

نشأ الكسائي في الكوفة وتعلم بها،(ياقوت الحموي ، 316/1) ثم بدأ الكسائي في حفظ القرآن الكريم وهوصغير ،وتلقاه مشافهة من قراء الكوفة في ذلك الوقت ، ثم خرج إلى البصرة، وفي البصرة تكونت شخصيته العلمية الواضحة . فلقي الخليل ، ثم خرج إلى بادية الحجاز حيث تلقى عن شيوخ القراءات اللبنات الأولى التي شكلت شخصيته العلمية ونضج حتى كانت له قراءة خاصة ، وذهب إلى البادية في طلب الأعراب الفصحاء ، ليقوي بنيته اللغوية (البغدادي ، أحمد بن علي ، ،1931م. 404،11).

فرأى أنه لن يبرع في قراءة القرآن إلا إذا عرف إعرابه ، فلذلك حرص على ضبط اللغة وأخذها من مصادرها ، ورحل إلى البادية ثانية ، ليكتب الكثير من اللغات ، التي سمعها من أفواه العرب الخُلص ، ليأخذ الكلمات من عربي سكن إحدى الحواضر العربية ، إذا ثبت أن سليقته ما تزال سليمة .حتى أنفد خمس عشرة قنينة حبر،(شوقي ضيف ، ص172–173) في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ في قلبه لذا حظُي بدرجة رفيعة ومكانة سامية .

تلاميذه:

له تلاميذ نحو ثلاثين ، في بعض المراجع زادت ، ولكن نذكر منهم : الذين أخذوا عنه القراءة عرضاً وسماعاً . الدّوري (حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صبهان ، 11،403)،وأبو الحارث الليثوأبو عبيد القاسم ابن سلام وغيرهم.(حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صبهان ، 11،403)

أثنى كثير من العلماء على الإمام الكسائّي بما هو أهلُ له ، وقال عنه الأنباري : (اجتمعت للكسائي أمور : كان أعلم الناس بالنحو ، وأوحدهم في الغريب ، وكان واحد الناس في القرآن.

أتقن علوم النحو واللغة والبلاغة ، وكان علماً بارزاً من أعلامه ، وقد أعانه على ذلك الجلوس للشيوخ ومدارسة القرآن الكريم، والسماع عن الأعراب ومجالس المناظرات . ويشهد لهذا المستوى العلمي مصنفاته.

له شعر في وصف النحو يقول فيه:

أيُّها الطالبُ عَلماً نافعاً *** أطلب النّحْو وَدعْ عَنْك الطَّمعْ

إنّما النّحو قياسٌ يُتبعُ *** وَبِهِ في كلِّ عِلمٍ يَنتفعُ

شيوخه:

الأساتذة الذين لازمهم وأعجب بهم وتأثر بهم منهم قراء ونحاة ، وأما القراء فكثيرون منهم حمزة الزيات، وعيسى بن عمر الهمذاني، وأما النحاة فقد أخذعن أبي جعفر الرؤاسي، ومعاذ الهراء من الكوفيين ، والخليل بن أحمد، وعيسى بن عمر الثقفي من البصريين،وأكثر اعتماده على الخليل.ومن شيوخه الذينأخذ عنهم القرآن ، إسماعيل بن جعفر، وحمزة الزيات.

وفاته:

اختلفت الروايات في تاريخ وفاته ، قيل سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وقيل سنة تسع وثمانين ومائة ، وقيل إنه عاش سبعين سنة ، ودفن معه محمد بن الحسن ، وقال قولته هذه:(دُفن الفقه والنحو بالري) .بقرية يقال لها رنبويهرثاه اليزيدي بقصيدة مطلعها :

تَصَرَّمت الدَّنيا قَلِيَس خُلودُ ***وَما قَدْ تَرَى مِنْ بهَجةٍ سَيبيدُ

لكل امرئ كأسٌ من الموت مُترع ***وما إن لنا إلا عليه ورودُ

ألم تر شيباً شاملاً يُنذر البلى ***وأن الشباب الغضَّ ليس يعودُ

ثانيًا :كتاب الكسائّي:

هو كما يدل من عنوانه(في لحن العامة)،لمؤلفه علي بن حمزة الكسائي(119–189 هـ)، لهارون الرشيد. حسب مأُوجد في مقدمته – وهذا الكتاب(من أقدم الكتب المصنفة في لحن العربية) ،ولم يذكر الذين ترجموا للكسائي من القدماء أن له كتاباً في(لحن العامة)، كذلك لم يشر إلى هذا الكتاب مؤلفو كتب اللحن الذين جمعوا موادهم من مؤلفات سابقيهم.(العسقلاني ، ابن حجر ، حيدر باد ، 1325هـ، 7،314.والذهبي ، ومعرفة القراء ، 1،128)وفي نسبة هذا الكتاب شك أثاره عبد العزيز الميمني ، فيقول في مقدمة نشرته له (وقد نقبت عن هذا الكتاب في جلّ المظان الحاضرة ، لعلي أقف منه على عين أو أثر أو خبر، فلم يقدَّر لّي الظفر بالوطرغير أنه معزو إليه في الأصل،وأما مضمون الكتاب ، فجلّه لا يلائم ما رواه اللغويين عن الكسائي).(الطنطاوي ، ، 2012م. ص10.)

وأيضاً شك الدكتور (حسين نصار)في كتابه:(المعجم العربي)في نسبة الكتاب إلى الكسائي ، ورأى أنه من تأليف أحد تلاميذه أبي زيد الأنصاري ؛ فقال:(وفي النفس شئي من نسبة هذا الكتاب إلى الكسائي؛ فإني لم أجد أحداً عزا إليه كتاباً من هذا النوع ، واعترف الناشر بذلك بأن جلَّ مضمون الكتاب،لا يلائم ما رواه اللغويون عن الكسائي .

وتتضح هذه الشكوك في قول بروكلمان:(وقد بقى لنا مصنف في لحن العامة يحمل اسم الكسائي وهو إن صحت نسبته يعد أقدم الآثار الأدبية –لحركة اللغة).(حسين نصار ، ،98،1–97).

اماعنوان الكتاب ، فقد أختلف في تسميته، سماه الكسائي(لحن العامة)،وهي التسمية التي سادت كثيراً من كتب اللحن في تلك الفترة . وأيضاً عنوان هذا الكتاب كما جاء في الصفحة الأولى من هذا الكتاب(لحن العوام).(بوهان فك ، العربية ، ص97)

هكذا يكون لهذا المصنف عدة عناوين ولكن أبرزها هو (ما تلحن فيه العوام) لأن هذا العنوان يوجد في مقدمة الكتاب:هذا كتاب ما تلحن فيه العوام، لمؤلفه علي بن حمزة ، للرشيد هارون . (الكسائي ، ص99)

أماعن تحقيقه ونشره فقد نشر هذا الكتاب لأول مرة (كارل بروكلمان)المجلة الآشورية، المجلد الثالث عشر ، من ص(29–46).ثم حققه عبد العزيز الميمني بالهند وطُبع ونشر بالقاهرة 1344هـ، ثم حققه د. رمضان عبد التواب،مرة ثانية ونشر بالقاهرة في عام 1982م.

ألفه علي بن حمزة لهدفين:الهدف الأول:هدف ديني ، هو المحافظة على كتاب الله .أما الهدف الثاني:فقد ألفه للرشيد هارون، ولابد لأهل الفصاحة من معرفته.أما بالنسبة لمنهجه ، عدم وجود منهج ثابت متبع في ترتيب ألفاظه .(الكسائي ،لحن العامة ، ص99).

يقع هذا الكتاب في ست وثلاثين صفحة ويتم تصحيح اللحن في إثنتين ومائة مسألة ، وتبدأ كل مسألة بقوله:(وتقول)، وأحياناً يتبع : (ولاتقول)أو (لايقال) .

وهو في بعض الأحيان يذكر الصواب ، ثم يورد الشاهد أحياناً وهو غالباً من القرآن والشعر والأمثال، وكذلكإذا كان في كلمة لحناً (زيادة) .ينفي الزيادة ، ويورد الصَّواب مضبوطاً .

يتضح من ذلك أنه لم يكن له منهجٌ ثابت ، بل يعتمد على ذكر الصَّواب بعبارة

(يقول –ولا تقول – ولا يقال كذا).

أماعن مصادر كتابه لم يذكر الكسائي مصادره التي أخذ منها مادة هذا الكتاب .إلا أنه رحل إلى البادية بعد أن شاع اللحن في الحضر ، ليأخذ الفصيح –فلم تعد –اللغة –في نظره أهلاً للنقل والاحتجاج .

وغالباً ما يستشهد الكسائي على صّحة ما أورده بآيات من القرآن الكريم ، الذي يمثل قمة الفصاحة .لكنه لم يعزُ الآيات إلى السَّور التي وردت فيها ،وقد بلغتشواهده من الآيات خمساً وثلاثين آية .

أما شواهده من الشعر العربي بلغت ستة وأربعين بيتاً فهو يكتفي بقوله : قال الشاعر ، أو قال بعض الأعراب .ويعتبر كتاب (لحن العامة) للكسائي من أقدم الكتب المصنفة في لحن العامة في العربية لذا جاءت بعض مسائل هذا الكتاب في كتب اللحن التالية له ، منها:(كتاب لحن العوام) .لأبي بكر الزبيدي ، وكتاب (الفصيح) لثعلب .و(إصلاح المنطق) لابن السكيت . وغير ذلك من الكتب التي سارت على درب الكسائي .وفي بعض الأحيان لم يستشهد الكسائي بالحديث النبوي الشريف ، والأمثال والأقوال . كما أنه لم يشر إلى مصادره التي أخذ منها .وأنه أكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم ، وأيضاً استشهد بالشعر لكنه لم ينسب الأبيات إلى قائليها.

واستشرت قضية اللحن لأن الأعاجم الذين لا يجيدون العربية ولا يتذوقون جمالها ، دخلوا أفواجاً بلغاتهم الأعجمية ، بنظامها الصوتي ، والصرفي ، والتركيبي، والدلالي ، فكان سبباً من أسباب اللحن الذي انتظم الخاصة والعامة . الأمر الذي دفع الكسائي حرصاً منه بتأليف هذا الكتاب . في هذا الكتاب أوضح الكسائّي أنواع اللحن التي سادت في عصره

المبحث الرابع: الموازنة

من خلال العرض السابق لكتابي الكسائي والحريري في الفصلين السابقين نلاحظ أنهما اتفقا تارة واختلفا تارة أُخرى .وذلك بعقد مقارنة بين الكتابين ، ويظهر ذلك في الآتي :

أ. تسمية الكتابين:اختلف العالمان حول تسمية كتابيهما بصورة واضحة ، بالرغم من تناولهما لنفس الموضوع وهو معالجة داء اللحن ، حيثُ سماه الكسائي (لحن العامة) وهي التسمية ألتي سادت كثيراً بكتب اللحْن في تلك الفترة ، أما الحريري فقد اختار اسماً مغايرا لتسمية كتابه حيث أطلق عليه (درة الغواص في أوهام الخواص) والتزم الحريري بهذا العنوان من خلال تسميته لأخطاء الخواص .

ب. المنهج المتبع وطريقة عرض المادة في الكتابين:

اتبع الكسائي في معالجة الخطأ اللغوي في كتابه طريقة تناسب ما تناوله ،اتبع في القسم الأول منه (يقولون كذا والصَّواب كذا) ، أما في القسمين الآخرين فهو يورد الكلمة ألتي اخطؤوا فيها ثم يناقش هذا القول ثم يورد الصّواب دون الحكم على الكلمة على أنها خطأ ، أو قوله صراحة (والصواب كذا).(الحريري , ص69)

أما الحريري فقد اتخذ طريقة تكاد تكون مشابهة لطريقة الكسائي أذ يورد الكلمة بقوله: ومن أوهامهم كذا والصواب كذا ، كما يشبه الخطأ أحياناً بأنه فاحش أوغير ذلك ، ثم يعرض الصواب بعد ذلك ، وفي كثير من الأحيان يورد القصص الأدبية لذلك. فهما لم يختلفا في المنهج المتبع في كتابيهما كثيراً .

ج. التقسيم المتبع في الكتابين:

اتبع الكسائي في كتابه تقسيماً معيناً فقد قسمه أقساماً تناسب مادته ، أما الحريري لم يتبع تقسيماً معيناً بل أورد كلماته مجتمعة من غير تقسيم معين ، فهما اختلفا كثيراً في تقسيم مواد كتابيهما .(الحريري , ص69)

ح. سبب تأليف الكتابين:

اتفق العالمان في سبب تأليف كتابيهما ، هو المحافظة على فصاحة اللسان العربي ومحاولة تقويمه ، غير أن الكسائي جعل هنالك سبباً وهو التقرب به إلى الخليفة هارون الرشيد.

خ. ترتيب المواد في الكتابين

اتفق العالمان في عدم ترتيب مواد كتابيهما وفق الترتيب العادي أو غيره ، ولذا فقد رتب ابن منظور كتاب الحريري وفق الترتيب الهجائي العادي ، فالعالمان متفقان تماماً في عدم ترتيب مواد كتابيهما.

د. الشواهد في الكتابين:

أورد الكسائي والحريري لإثبات صحة تصويباتهم مجموعة من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العرب المنظومة أو المنشورة ، نثراً أو شعراً أوحكمة أو مثلاً أو قول مأثور ، وقد اتفقا في ذلك أيضاً .

ذ. القصص والحكايات الأدبية في الكتابين:

توسَّع الحريري في شرح كثير من كلمات كتابه وأورد في ذلك بإيراد مجموعة كبيرة من القصص الأدبية ، وقد نبه بوجودها في مقدمة كتابه ، بينما اكتفى الكسائيفي كثير من المواطن بتصويب كلماته ،(الحريري ,ص69) لذا نجد أن الحريري حشي كتابه بالقصص الأدبية دون الكسائي ؛ وربما يرجع السبب في ذلك لأن الحريري اشتهر بميوله الأدبية ، ويظهر ذلك في مقاماته الأدبية عدد الكلمات التي عالجها الكتابان :

بلغت مواد كتاب الكسائي(102) كلمة ، بينما بلغت كلمات كتاب الحريري (213) كلمة ، ممّا يعني أن الكلمات التي تناولها كتاب الحريري ضعف الكلمات التي تناولها كتاب الكسائي.

ر.قواعد الرسم الإملائي في الكتابين:

إن الحريري اهتم بقواعد الرسم لأن الرسم الإملائي يساعد كثيراً من الكلمات رسمها خلاف نطقها مثل كلمة (لكن) (هذا) (هؤلاء) وكذلك رسم الهمزات والتاء المربوطة.(الحريري , ص69)

الخاتمة :

قرّ بحمد الله لهذه الورقة أن تكتمل بكتابة خاتمتها ، فإن كان التوفيق من نصيبها فهو بفضل الله وتوفيقه ، وإن كانت الأخرى فالتقصير سمة من سَماتِ البشرية , ولا حول ولا قوةإ لا با لله .

النتائج:

1. لم يشّر أصحابُ الكتب التي ألفت لمقاومة اللحن إلى أسباب وقوعه ولا لطريقة معالجته ، واكتفوا بذكر الصَّواب وايرا د الشواهد له ُ .
2. كتاب الحريري أكثُر اشتمالاً على القصص الأدبية من كتاب الكسائي .
3. لم نقف على نصوص من الحديث النبوي الشريف في كتاب الكسائي .
4. نجد أن الكتاب الذي أخذت منه مادة درة الغواص ،يندر أن يضبط الكلمات

التي قد يوهم ظاهرها خلاف المقصود وهذا أمرٌ يحتاج إلى بحث ومقارنة نصوص الكتاب من عِدة نُسخ .

التوصيات :

1) إتباع منهج تربوي في المدارس الأساسية يعتمُد على حفظ القرآن الكريم كاملاً من مرحلة مبكرة ، منشأنه أن يُقّوم ألسنة النشء مما يساعد على درء اللحن .
2) تفعيل وسائل الإعلام للمحافظة على اللغة من اللحن .
3) الاستفادة من كتب (لحن العامة) في تطوير المنهج المتبع للمحافظة على اللغة من اللحن .
4) مراعاة التطور الذي تخضع له اللغة ، بوصفها ظاهرة اجتماعية متطورة
5) مع دراسة هذا التطور ، بحيث تظل لغتنا –مع تطورها – محافظة على طابعها المميز – وخصائصها الأصلية .
6) العناية بكتب لحن العامة والخاصة ودراسته .

المراجع:

1. الأنباري ، (1985م) ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق إبراهيم السامرائي –مكتبة المنار –الأردن – الزرقاء –الطبعة الثانية .
2. الحريري ، القاسم بن علي ، (1997م) درة الغواص في أوهام الخواص ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،القاهرة ، دار الفكر العربي.
3. حسين سعيد بيحري، (2001م) ، المدخل إلى مصادر اللغة العربية ، مؤسسة المختار،عين شمس ، الطبعة الأولى ، 1471هـ– القاهرة.
4. ابن خلكان ،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبو بكر ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ،لبنان.
5. السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .
6. عمر كحالة ، معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، 1414هـ–1993م.
7. فرغلي علي فرغلي ، (1996م) ، درة الغواص شرحها وحواشيها وتكميلتها، دار الجيل،بيروت،مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ،1417هـ.
8. القفطي ، جمال الدين علي بن يوسف ، ت 646هـ.انباه الرواة على أنباءالنحاة، ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ،صيدا ، بيروت .
9. الكسائي ، (1982م) ، ما تلحن فيه العامة ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر ، القاهرة ، دارالرفاعي،الطبعة الأولى ،1402.
10. .المبرد ، (1939م) ، محمد بن يزيد، ت 286هـ ، الكامل ، تحقيق د.زكي مبارك وأحمد شاكر، البابي الحلبي ، مصر .
11. ابن منظور ،جمال الدين محمد بن مكرم، (1968م) ، ت 711هـ ، لسان العرب ،دارصادر، بيروت.
12. ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، تحقيق إحسان عباس،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، لبنان .